

المدى البعيد ، يشكل فرقاً يميّزه عن الخطبة ، وعن الاحساس ، وعن حياة كل أعضاء المجتمع ، وعن الناس كلهم ، سواء أكانوا يقرأون الشعر ويستمتعون به أم لا ، وفي الحقيقة ، سواء عرفوا أسماء أعظم شعرائهم أم لا ، إن تأثير الشعر ، في أقصى حدوده ، هو بالطبع شديد الانتشار ، وغير مباشر بدرجة كبيرة ، كما أن البرهنة عليه عسيرة جداً ، إنه مثل تتبع مسار طائر أو طائرة في سماء صافية ، فإذا رأيتها وهي قريبة تماماً ولازمتها ببصرك وهي تمعن في البعد شيئاً فشيئاً ، كان لي وسعك أن تظل مشاهداً لها وهي على مسافة شاسعة ، على مسافة لن تستطيع عين شخص آخر أن تتبينها إذا ما حاولت أن تدلّه عليها . وكذلك فأنت إذا تتبعت تأثير الشعر ، مروراً بأولئك القراء الذين هم أكثر الناس تأثراً به ، وحتى أولئك الذين لا يقرأونه على الإطلاق ، فستجده حاضراً في كل مكان ، وعلى الأقل ستجده إذا ما كانت الثقافة القومية حيّة ومعافاة ، ذلك لأن في المجتمع السليم تأثيراً وتفاعلاً مستمرين ومتبادلين من كل جزء من أجزائه على الأجزاء الأخرى ، وهذا هو ما أعنيه بالوظيفة الاجتماعية للشعر بأوسع معانيها ، وذلك أنه يؤثر ، بالنظر إلى تفوّقه وعنفوانه ، على الكلام وعلى الاحساس في الأمة بأسرها .

وينبغي لكم ألا تتصوروا أنني أقول إن اللغة التي نتكلمها..يحدّد معالمها شعراؤنا على سبيل الحصر . فبنية الثقافة أكثر من ذلك تعقيداً ، وفي الواقع سوف يكون من الحق كذلك أن سمة شعرنا تعتمد على الطريقة التي يستعمل بها الشعب لغته ، فالشاعر يجب أن يتخذ مادته من لغته الخاصة كما ينطق بها الناس بالفعل من حوله . فإذا كانت تشهد تحسناً ، استفاد من ذلك ، وإذا كانت تعاني من تدهور كان عليه أن يُخرج منها أفضل ما يمكن إخراجها . إن الشعر يستطيع إلى حد ما ، أن يحافظ على جمال لغة ما ، بل يستطيع أن يعيد ذلك الجمال ، وهو يستطيع ، وينبغي له أيضاً ، أن يساعدها على التطوّر ، لتبلغ من التهذيب والدقة في الظروف الأكثر تعقيداً ، ومن أجل الأغراض المنفيرة في الحياة الحديثة ، ما كانت عليه في عصر أبسط ومن أجل ذلك العصر . ولكن الشعر ، شأن أي عنصر فرد آخر في تلك الشخصية الاجتماعية الحافلة بالأسرار والتي نسميها